OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

النوستالجيا في ديوان " بے نام مسافت: مسافة مجهولة" للشاعرة كشور ناهيد

The Nostalgia In Diwan :"be nam msaft: unknown distancs" By The Poet Kishwar Naheed

❁ **د.هند عبدالحليم محفوظ**
قسم اللغة الأردية و آدابها، جامعة الأزهر، مصر

ABSTRACT

This paper deals with the meaning of Nostalgia and its application in contemporary Urdu Poetry with reference to th Diwan "بے نام مسافت" : unknown distance of Kishwar Naheed. The poetess applied its various forms in her presentation, as she recalls her childhood, family and friends. she also recovers her past which is full of joys, sorrows, achievements and despondencies. We also find her revolution against her personality & the society in powerful language with strong emotions although she composed it in her last days of life while she became apprised by the grief of time. The Diwan is scaping way from her distress to the comfort of life. Whether in her imagination or dream.

Keywords: *Nostalgia, Diwan,بے نام مسافت contemporary Urdu Poetry, Kishwar Naheed, Childhood.*

إن مصطلح النوستالجيا أو الحنين إلى الماضي، هو أحد المصطلحات الحديثة التي بزغت في الحقل النقدي خلال السنوات الأخيرة، لكن هذا المصطلح وإن كان حديث الظهور في النقد الأدبي، لكن توظيفه في الأعمال الإبداعية والأدبية ليس حديثًا، فالحنين إلى الماضي واسترجاع أيام الطفولة والصبا، وأمجاد التاريخ، والبكاء على الأطلال، والعودة إلى الزمن الجميل، موجود منذ العصر الجاهلي من خلال القصيدة الطللية، التي تبدأ بالبكاء على الديار واسترجاع الذكريات، واستحضار المحبوب، " أما النوستالجيا فهي ليست لونًا من الحنين إلى تكرار التقاليد القديمة للقصيدة الجاهلية، بل هي شوق إلى المضي بها نحو أفق أرحب، حيث استقر لدى النقاد أن الحنين، حركة نكوصية رجعية، كما أن الشوق يعتبر دينامية شعورية، والنوستالجيا اليوم تنحو إلى اليوتوبيا([1]) الأرقى والأعلى والأسمى، وتؤسس لحياة بديلة عن الواقع الذي نعيش فيه، وتبشر بالمحتمل كبديل عن الواقع"([2]).

ولا شك أن تلك النزعة إلى استحضار الماضي عند الأدباء، وخاصة الشعراء منهم، لها دوافع وعوامل مختلفة، منها العوامل السياسية، والاجتماعية، والعاطفية، والآلام النفسية التي يعانيها الفرد.

ويسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم النوستالجيا، وتوضيح العلاقة بينها وبين الشعور النفسي، وكيف تعامل شعراء الأردية مع هذه التيمة الفنية من خلال ديوان " بے نام مسافت" للشاعرة كشور ناهيد، التي عاصرت فترة تقسيم الهند،وأجبرت على التهجير القسري من الهند إلى باكستان مع أسرتها، في ظل ظروف صعبة وغير مواتية، وقد اتسم هذا التهجير بالعشوائية وغياب البعد الإنساني في التعامل مع المهجرين، وكان من نتائجه مقتل وتشريد الآلاف من السكان من كلا الجانبين، وقد سجل الشعراء الذين كانوا شاهدي عيان على هذا التهجير القسري تلك المآسي في قصائدهم، والتي تُعد توثيقًا مهمًا لتلك الفترة العصيبة في تاريخ باكستان. فجاء شعرهم كسجل حيّ ووثيقة للتأريخ لتلك الفترة، ومرآة لتلك الاضطرابات النفسية والسياسية والاجتماعية التي مروا بها.

وجدير بالذكر أن الشعراء الذين عاصروا فترة التقسيم – ومن أبرزهم الشاعرة كشور ناهيد– هم شعراء مخضرمين، حيث عاشوا في فترتين زمنيتين مختلفتين قبل وبعد التقسيم، فقبل التقسيم، كانت الحياة هادئة ومستقرة، لا يعكر صفوها شئ، أما بعد التقسيم، فقد صارت الحياة كئيبة، حيث فقد الشعب الأمل في المستقبل، والحياة الكريمة بسبب تجدد القلاقل والاضطرابات والصراعات السياسية .. وهذا الوضع المأزوم حرك قرائح الشعراء لمواكبة تلك الفترة واحتواء آلام الناس ومنحهم الأمل في المستقبل وتضميد جراحهم من خلال استرجاع الماضي الجميل، وفترات الازدهار والانتصارات لتكون نبراسًا للخروج من هذه الأزمة.

كما أن التوترات والصراعات التي يعانيها العالمين العربي والإسلامي اليوم على السواء، وتربص الأعداء بالعرب والمسلمين، لنهب ثرواتهم واحتلال أوطانهم والتحكم في مقدرات الشعوب العربية والإسلامية، وكل هذه الأحداث المتلاحقة كانت سببًا في استمرار تدفق تيار النوستالجيا، كما أسهمت في ازدهار المدونة الشعرية الرومانتيكية ([3]) (الحنين إلى الماضي).

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي في عرض وتحليل مجموعة من النماذج الشعرية في ديوان " بے نام مسافت: مسافة مجهولة"، الذي يكشف عن ولع الشاعرة بالحنين إلى الماضي في مواقف مختلفة من أجل استرجاع مشاعر عابرة ولحظات سعيدة من الذاكرة، وطرد اللحظات السلبية من الذاكرة.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، تناولت في **المبحث الأول** مفهوم النوستالجيا، لغة واصطلاحًا، ثم تطرقت إلى الحديث عن وظائفها الخمسة، واتجاهاتها، ثم ذكرت أنواعها. ثم تعرضت في **المبحث الثاني**، إلى حياة الشاعرة كشور ناهيد بداية من نشأتها وتعليمها، وأهم أعمالها الإبداعية في عالم الشعر، والقصة، والسيرة الذاتية، والصحافة، وأدب الرحلة، وأدب الأطفال، وأهم الرسائل العلمية التي كُتبت حول أعمالها الأدبية، وكذلك أهم الجوائز المحلية والعالمية التي حصلت عليها. أما **المبحث الثالث**، فجاء تحت عنوان: " مظاهر النوستالجيا في ديوان بـے نام مسافت: مسافة مجهولة" وتناولت فيه أهم مظاهر النوستالجيا التى تعرضت لها الشاعرة في هذا الديوان محل الدراسة، وجاءت على النحو التالي:

1- الحنين إلى المحبوب
2- الحنين إلى الذكريات
3- الحنين إلى القيم المفتقدة
4- الحنين إلى يفاعة الشباب

ثم أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها الباحثة أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ، ثم ذيلته بثبت المصادر والمراجع التي استعانت بها في إعداد هذا البحث، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول: النوستالجيا .. لغة واصطلاحًا

النوستالجيا لغة: كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: Nostos وتعني العودة إلى الوطن، وكلمة Algos وتعني الألم ([4]).

وإذا بحثنا عن هذا المصطلح بين المعاجم والقواميس، سنجد أن لها عدة معان منها: الحنين والشوق لأشياء، أو أشخاص، أو مواقف من الماضي، وكذلك الحنين إلى الوطن أو الأسرة ([5]).

اصطلاحًا: هي شعور ممزوج من السعادة، والحزن الطفيف عند التفكير في ذكريات الماضي ([6]). وهو مصطلح يستخدم لوصف الحنين إلى الماضي، أصل الكلمة يرجع إلى اللغة اليونانية إذ تشير إلى الألم الذي يعانيه المريض إثر حنينه للعودة لبيته وخوفه من عدم تمكنه من ذلك للأبد.

وفي قاموس اكسفورد هي " الشوق الوجداني أو عاطفة حزينة لفترة ماضية وغالبًا ما تكون لفترة زمنية أو لمكان ارتبط في ذاكرة الإنسان بعلاقات شخصية سعيدة".

والنوستالجيا هي من مصطلحات علم النفس " إذ يشير إلى الألم الذي يعانيه المريض إثر حنينه للعودة لبيته وخوفه من عدم تمكنه من ذلك للأبد، وجرى وصفها على أنها حالة مرضية أو شكل من أشكال الاكتئاب في بدايات الحقبة الحديثة، ثم أصبحت بعد ذلك موضوعًا ذا أهمية في فترة الرومانتيكية. في الغالب النوستالجيا هي حب شديد للعصور الماضية بشخصياتها وأحداثها" ([7]).

ويمكن القول إن النوستالجيا، هي تلك اللحظات والمواقف والمشاعر الإيجابية التي تلاحق الشاعر، وهي هاجس الحنين والعودة إلى تلك الأيام، هربًا من لحظات الحزن والخوف، بحثًا عن الاطمئنان والاستقرار عند الرجوع إلى لحظات من الماضي.

وللنوستالجيا أو الحنين إلى الماضي تأثير قوي على تحسين الحالة النفسية للشاعر، فهي حالة طبيعية تصيب الكثير من الأشخاص تشعرهم بالسعادة تجاه ذكريات عاشوها في الماضي، فأغلب الأشخاص الذين يعيشون تحت ضغط وتعب وإرهاق ومشاكل نفسية يشعرون براحة وسعادة عارمة عندما يسرحون في ذكريات قديمة من الماضي تذكرهم بقصص وحكايات سعيدة في الماضي، لأنهم في الغالب يفتقدونها في الوقت الحالي، وغير قادرين على إعادتها بكامل تفاصيلها، لذا تساعدهم النوستالجيا على تغيير حالتهم المزاجية والشعور بسعادة عابرة، لأنها غالبًا ما تكون سعادة مؤقتة ويرجعون مرة أخرى لحياتهم الطبيعية.

وللنوستالجيا خمس وظائف " فهي تقدم أولاً بديلاً لمجتمعات تاهت منها البدائل. بديل يدعي «النوستالجيون» أنه جُرّب وثبت نجاحه والأحرى بالتالي بعثه من جديد واسترجاع عبقريته. وثانياً، للنوستالجيا وظيفة نفسية هامة حيث تعوض بؤس الحاضر وتداوي النرجسية العربية المجروحة أمام المتقدمين باعتزاز مبالغ فيه بمجد تليد وماض عتيد تربع فيه الأجداد على عرش الحضارة. وثالثاً تعيد النوستالجيا إنتاج الهوية حيث تصور فترة زمنية بعينها على أنها الأصل الذي يجب أن ننتمي إليه ونذود عنه. وللنوستالجيا رابعاً وظيفة كفاحية لأنها تُذكّر في أوقات الهزيمة بما فعله السلف في أوقات النصر وبالتالي تقترح الثبات إلى أن تستكمل شروط هزيمة الخصوم مجدداً في المستقبل. أما الوظيفة الخامسة فتتلخص في نقل المجتمع من حالة اللايقين التي يعيشها في الحاضر إلى حالة من الغموض البنّاء انتظاراً لوعد مكتوب يقطع بأن الماضي المسترجع لا بد وأن يأتي حتماً بالخير"([8]).

اتجاهات النوستالجيا:

تقسم " سفيتلانا بويم" النوستالجيا في كتابها The Future Of Nostalgia إلى نزعتين:

1- **نزعة استعادة Restorative Nostalgia**

وهي " تجعل من مفهوم Nostos أو العودة، المحرك لها، ونجد هذا جليا في الحركات السياسية والقومية خاصة، في انحاء العالم، في محاولة لإعادة صنع التاريخ، من أجل اقناع الآخرين بأن الماضي كان أفضل من الواقع الحاضر" ([9]).

2- نزعة اجترارية Reflective Nostalgia

وهي " تدور حول Algia ، المتمثلة في ألم الفقد، وهي نظرة أكثر شاعرية ونجد تأثيرها في الفن والأدب والشعر، وترتبط هذه النزعة بشكل وثيق بمحاولة الهروب من إحباطات اللحظة الراهنة، وتسارع وتيرة التحديث والاستهلاكية"([10])

أنواع النوستالجيا:

1. **النوستالجيا الذاتية: Personal Nostalgia**

وهذا النوع من النوستالجيا " يعتمد على استرجاع الشخص للذكريات الشخصية الذاتية، حيث يسترجع أجمل المواقف التي مر بها في الماضي، وهذا النوع من النوستالجيا يسمى بـ الحنين الحقيقي"([11])

2. **النوستالجيا التاريخية: Historical Nostalgia**

وفي هذا النوع من النوستالجيا،" يسترجع الإنسان أحداثا ومواقف تاريخية، لم يعاصرها بنفسه، لكنه سمع أو قرأ عنها، وتركت أثرًا فيه، ويمكن أن يوصف هذا النوع بأنه مثل الرغبة في الانسحاب من الواقع، والعودة إلى الماضي الجميل"([12])

3. **النوستالجيا الثقافية: Cultural Nostalgia**

" يعتمد الحنين الثقافي على الذكريات الجماعية، التي خضعت للتجربة والاستحسان من قبل أعضاء جماعة معينة، ويعتبرها البعض حقيقة افتراضية، حيث لا تخضع لقواعد صارمة، مقرونا بالعاطفة القائمة على تجربة، مثل مضمون كتاب قديم أو شعبي، أو فيلم سينمائي، أو أغنية" ([13]).

فالنوستالجيا الثقافية، هي استحضار تراث الراحلين من المثقفين والفنانين والمفكرين، لإنعاش الذاكرة الثقافية للمجتمع، والاستفادة من تجارب هذه الرموز الثقافية في تطوير المجتمع وتثقيفه.

4- **النوستالجيا السياسية: Political Nostalgia**

نجد هذا النوع جليًا في " الحركات السياسية والقومية، والتي تتشارك محاولة إعادة صنع التاريخ واستلهام الرموز الوطنية والأساطير والحكاوي السياسية، وأحيانًا نظريات المؤامرة، من أجل اقناع الناس بأن الأحوال كانت أفضل في الماضي"([14])

المبحث الثاني: نبذة عن الشاعرة كشور ناهيد

تعد كشور ناهيد من ألمع الكاتبات في باكستان، حيث قدمت اسهامات كبيرة في عالم الشعر، وأدب الأطفال، وأدب الرحلات، والقصة القصيرة، والسيرة الذاتية، والمقالة الصحفية، والنقدية.

والشاعرة كشور ناهيد من مواليد مدينة "بلند شهر" الهندية، حيث ولدت عام 1940م، في أسرة محافظة تهتم بالعلم والأدب والدين، وقد هاجرت مع أسرتها عام 1948م عقب التقسيم إلى مدينة لاهور الباكستانية، واستمرت في مشوارها التعليمي حتى وصلت إلى الصف الثامن، لكنها فوجئت بقرار والدها بالتوقف عند هذا الحد من التعليم، ولكنها أصرت على استكمال مشوارها التعليمي، حتى استجابت عائلتها إلى رغبتها في التعليم، وبعد حصولها على الشهادة الثانوية "ميٹرک" التحقت بالكلية الشرقية " اورئينٹل كالج"، ثم حصلت على درجة الماجستير في الآداب من جامعة البنجاب.([15])

شرعت كشور ناهيد في كتابة الشعر في فترة مبكرة من حياتها خلال دراستها بالمرحلة الثانوية، ثم نضجت موهبتها الشعرية في المرحلة الجامعية، بفضل شغفها بالقراءة وكثرة اطلاعها، ونهمها المعرفي وشاركت في العديد من المسابقات الشعرية خلال دراستها الجامعية.([16])

وقد ارتبطت كشور ناهيد عاطفيًا بالشاعر الكبير " يوسف كامران" حيث نشأت قصة حب بينهما خلال دراستيهما بالجامعة، وتوجت هذه العلاقة بالزواج في فترة مبكرة من حياتهما، وقد أنجبا طفلين، وقد رحل زوجها الشاعر " يوسف كامران" عن دنيانا عام 1984م.([17])

وبالرغم من أن الأدب الأردي يزخر بالعديد من الأدبيات والشاعرات المتحققات، إلا أنها لفتت الأنظار بشدة بفضل جرأتها في تناول القضايا الحساسة في مجتمع محافظ، فهي شاعرة تمتاز بالاعتماد على النفس، حيث اعتمدت على موهبتها في تحقيق مجدها الأدبي. ([18])

وقد كتب الناقد" سليم أختر" عن تطور تجربتها الشعرية، فقال: " إنها أشبه بالإنسان الذي يبدأ في تعلم السباحة بجوار الشاطئ، وشيئا فشيئًا يتدرج في الإبحار إلى عمق البحر، حتى يحترف السباحة والغوص، فيتمكن من السباحة ضد التيار بدون مساعدة أحد، وهذا أشبه بتطور التجربة

الشعرية عند الشاعرة كشور ناهيد في كتابة مجموعتها الأولى " لب گويا" التي تتدرج من البساطة إلى العمق.([19])

ومن الطبيعي أن نجد في شعر كشور ناهيد صورة المرأة، بعتبارها امرأة، فالصوت النسائي حاضر بقوة في معظم أعمالها الشعرية، فشعرها شعر ثوري على المستوى الحسي للمرأة العصرية.([20])

لذا هي " من أنصار تحرير المرأة، حيث تطالب بضرورة تحقيق المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص، وتعد قضايا المرأة تيمة مركزية في أعمالها الشعرية بصفة خاصة، فهي حاملة لواء الدفاع عن قضايا المرأة" ([21])

وقد فتحت كشور ناهيد الباب أمام المرأة للدخول إلى عالم الأدب للتعبير عن عواطفها ومشكلاتها وأزماتها مما أثرى الحركة الأدبية النسوية في باكستان، والتي دخلت في منافسة مع الرجل المبدع، وأصبحت ندًا له. وبالرغم من حدتها وشدة مراسها فهي صاحبة إحساس مرهف. كما أن البعد القومي حاضر في أعمالها، حيث تهتم بقضايا الوطن، وهمومه، وتكتب عمودًا يوميًا في صحيفة "جنگ" اليومية، وتولت منصب المدير العام للمجلس الوطني الباكستاني للفنون، كما تولت رئاسة تحرير مجلة "ماه نو" لسنوات عديدة.([22])

وهي شاعرة عنيدة في إصرارها على نيل المرأة حقوقها، وإن لم تتحقق مطالبها بالكلمة، فإنها لا تيأس من الإلحاح لتلبية هذه الحقوق، وهي كاتبة تسير ضد التيار وتكشف قضايا حساسة في المجتمع الباكستاني، وتناولت قضايا شائكة في كتاباتها، مثل الحرية الجنسية للمرأة، وانتقدت التقاليد البالية التي لا تتناسب مع تحولات العصر، وتطور المجتمعات.([23])

ورغم أن أعمالها تميل إلى الواقعية، لكن النزعة الرومانسية حاضرة بقوة في أعمالها، فكتبت عن الحب وأزمة العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة والهجر والفراق، وتجدد الذكريات ورثاء المحبوب، وهذا ما يتجلى في ديوان " بے نام مسافت: مسافة مجهولة" محل الدراسة.

أهم أعمالها الأدبية

- ديوان "لب گويا" عام 1969م.
- ديوان "كلياں دھوپ دروازے" عام 1977م.
- "ملامتوں كے درمياں" 1981م.

- "فتنہ سامانی دل کلیات"1985م.
- دیوان "بے نام مسافت"1991م.
- "عورت، خواب اور خاک کے درمیاں " 1985م.
- "باقی ماندہ خواب"
- "عورت زبان خلق سے زبان حال تک-"
- "زیتون"
- "بری عورت کے خطوط"
- "سیاہ حاشیے میں گلابی رنگ"
- "خیالی شخص سے مقابلہ"، "میں پہلے جنم میں رات تھی"
- "سوختہ سامانیٔ دل"
- "کلیات دشت میں قیس لیلی"
- "لیلی خالد"
- "ورق ورق آئینہ"
- "شناسائیاں رسوائیاں"
- "وحشت اور بارود میں لپٹی"
- "ہوئی شاعری"
- "عورت مرد کا رشتہ"
- "زخم برداشتہ"
- "گمشدہ یادوں کی واپسی"
- "آباد خرابہ"
- "مٹھی بھر یادیں"
- "گستاخی"

- "خواتین افسانہ نگار 1930 سے 1990ء تک-".([24])

وقد كتبت كشور ناهيد سيرتها الذاتية تحت عنوان " **بری عورت کی کتھا**"، ولها في أدب الرحلة "**آجاؤ افریقہ**"، كما كتبت عدة قصص للأطفال منها: " **دیس دیس کی کہانیاں**"، "**آنکھ مچولی**" 2013م، "**سونے کی کلہاڑی**" 2012م، "**مغرور گھوڑا**" 2013م، "**جادو کی ہنڈیا**" 2012م، "**شیر اور بکری**" 2012م، "**چاند کی بیٹی**" 2012م. كما ترجمت العديد من الأعمال الأدبية عن اللغتين الإنجليزية والإسبانية إلى الأردية ومنها: "سيمون ڈی"، " **دی سیکنڈ سیکس**".

وقد كتب حولها عدة رسائل علمية منها

1. **کشور ناہید: شخصیت اور فن**، محمد افضل شیخ، جامعة بهاء الدين زكريا، الملتان، 1988م.
2. **اردو کی دو آپ بیتیوں: بری عورت کی کتھا، کشور ناہید، اور ہم سفر، حمیدہ اختر رائے... کا تجزیاتی مطالعہ**، نادیہ فریال، جامعة بهاءالدين زكريا، الملتان، 2000م.
3. عورت کا شعور ذات، شهناز پروين، جامعة بهاء الدين زكريا، الملتان، 2004م.
4. **تانیثی شاعری میں جدید عورت کا تصور- ثروت فاطمہ- جامعة العلامہ اقبال المفتوحة ، اسلام آباد**، 2015م.
5. **کشور ناہید کی نثری خدمات- کرن اسلم، الجامعة الحكومية، لاهور**، 2016م.([25])

كما حصلت على عدة جوائز محلية وعالمية وهي:

1. جائزة " آدم جي" الأدبية عن مجموعتها الشعرية " لب گويا"
2. جائزة اليونسكو لأدب الأطفال عن مجموعتها القصصية " **دیس دیس کی کہانیاں**".
3. جائزة أفضل مترجمة من جامعة كولومبيا.
4. جائزة مانديلا لعام 1997م.
5. وسام الامتياز عن مجمل أعمالها من قبل الحكومة الباكستانية لعام 2000م.([26])

المبحث الثالث: مظاهر النوستالجيا في ديوان: مسافة مجهولة"

يشتمل ديوان " بے نام مسافت" على واحد وخمسين قصيدة، وقد نشر في عام 1991م، وكان عمر الشاعرة كشور ناهيد آنذاك واحد وخمسين عاما أيضًا، وهذه مفارقة نادرة، لا ندري إذا

كانت وقعت عن قصد، أم خضعت للمصادفة. وقد جاءت قصائد هذا الديوان على النحو التالي:(حرف ندا- کچھ اگربچے تو ملے- سلامت گہ خواب کو روند ڈالو- خوشنودیء غم- فبای آلاء ربکما تکذبان- کچے دھاگے- کشید شب- خزاں کا گیت- شکست رنگ- ان الله مع الصابرین- قصہ سوتے جاگتے کا- آگہی- طلسم آباد کی ایک شام- مدّ مقابل- طلوع- عکس نما- دشت صبا کا سپنا- وحشت گہ شوق- پچھلے پہر کی سوچ- اثبات- نفی- روایت نہ ٹوٹے- زوال استحصال- نئی شرطیں- افق بدلتا آسماں- تعبیر- اب پہرے بیکار ہیں- کڑے کوس- سنیاس- رسم- آتشبازی- چوں بروں آمداز چاہ بزنداں رفتم- سراب- روح کا بوجھ- تمہید- خود اذیتی- سلاسل- جانتے بوجھتے- بات کا درد- پیش بندی- خواب میں خواب کا ڈر- ناگزیر- خود کلامی- کنوار پنے کی سوچ- پہلا سفید بال- نروان- عروسی- اپنے خون کا جوش- آخری وار-بے نام مسافت- یوسف کامران)(27)

وقصائد الديوان تلقي الضوء على أحداث ومواقف مرت بها الشاعرة في الماضي لم تبرح ذاكرتها حتى الآن، فقررت تدوينها في هذا الديوان حتى لا يطويها النسيان من ناحية، ومن ناحية أخرى تعد هذه القصائد توثيقًا لمرحلة مهمة في مسيرة التجربة الشعرية للشاعرة كشور ناهيد، والتي أطلعتنا من خلالها على العوامل والظروف التي أسهمت في تشكيل ثقافتها ووعيها والمنابع التي استقت منها أفكارها الشعرية.

ولقد لجأت كشور ناهيد، إلى تقنية الواقعية كسمة جمالية من أجل عرض الوقائع الموضوعية في سياقات شعرية ترتفع معها الواقعية إلى درجة عالية من الجمالية والقدرة على الادهاش؛ نظرًا إلى الارتباط الشديد بين السياق الشعري وعالم الواقع، ونلاحظ ذلك في عدد من القصائد المستقاه من الواقع، وسوف نلقي الضوء عليها من خلال الدراسة.

ومن البديهي أنه كلما تقدم الإنسان في العمر، كلما ازداد شوقًا وحنينًا إلى الماضي، ولا سيما الشعراء، الذين هم أكثر الناس رهافة وحسًا، فالعودة إلى الماضي من التقاليد الثابتة والمتوارثة في الثقافة الشرقية العربية والإسلامية أيضًا، ولا غرو أن الشاعرة قد سارت على نفس الدرب، فجمعت بين الأغراض التقليدية للشعر القديم الذي يقوم على بكاء الديار والأطلال وتذكر الأحداث الماضية، والموضوعات الحديثة المواكبة للعصر، فعندما تسترجع كشور ناهيد الماضي، يكون هذا بمثابة إحياء لذاكرتها الشعرية، والتفاعل مع الحياة المعاصرة، وهذا أهم ما يميز المبدع الحقيقي الذي لا يعيش في برجه العاجي وينعزل عن مجتمعه.

والقارئ لهذا الديوان يلاحظ أن هناك وحدة عضوية تربط قصائد الديوان بعضها ببعض، حيث يتوفر عنصر القصدية في تجميع القصائد التي يجمعها قاسم مشترك، ألا وهو النوستالجيا (الحنين إلى الماضي) في ديوان واحد، للتعبير عن حنين الشاعرة إلى الذكريات الماضية، والقصدية هي : موقف منشئ النص، أي الشاعرة كشور ناهيد، وهي وفق رأي "روبرت دي بوجراند، ودريسلر، تعني: قصد منتج النص من أي تشكيلة لغوية ينتجها؛ لأن تكون قصدًا مسبوكًا محبوكًا، وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"([28])

كما نلاحظ أن أغلب قصائده هذا الديوان يغلب عليها تقنية الحكي بصيغة الماضي؛ حتى تهيئ القارئ لتلقي القصائد في ثوبها الماضوي، ونجد أن الشاعرة كشور ناهيد، قد خصصت هذا الديوان لذكرياتها الخالية، والتي لا زالت محفورة في وجدانها، وتحضر النوستالجيا بقوة في أغلب القصائد، ويغلب عليها النوستالجيا الذاتية أو الشخصية، التي تتمحور حول الذات الشاعرة، حيث تلوذ الشاعرة بذكرياتها وتجاربها الشخصية التي تعتز بها للهروب من قسوة الواقع الحالي، وكلما ارتبطت النوستالجيا بالواقع، كلما لاقت قبولا وتصديقًا لدى القارئ، حيث يرى نفسه في هذه القصائد، وقد عبرت كشور ناهيد عن النوستالجيا الشخصية في هذا الديوان من خلال عدة مظاهر وهي:

الحنين إلى المحبوب

عبرت الشاعرة عن حنينها وشوقها تجاه المحبوب، الذي تعلقت بحبه في فترة من حياتها، إلى أن حال الفراق بينهما، فتشعر بفقده، فجاء شعرها تعبيرًا عن إحساسها المرهف عن ذكرياتها التي أمضتها معه، وفي نفس الوقت تعكس قصائدها آلامها وأحزانها بسبب غياب المحبوب عنها، فجاء تصويرا لأيام الوصال، والتي حلت محلها الآن ليالي الفراق والهجر، ففي قصيدة " **حرف ندا**: حرف نداء" وهي أول قصيدة صدرت بها هذا الديوان، تقول:

كان يعرف من قبل
أن أحضان هذا الجبل، كانت رمزا للقاء
فهل يمكنه الآن تسكين هذا الألم
فقد أصبح لا يمنح الإحساس بالحب إلا للحظات
هذا الشعور الجنوني

دليل على وجود السراب

ويعتبر ذهابك حيلة لإيابك

وما بقى فهو يبحث عن أثرك([29])

وفي نهاية القصيدة تتضرع إلى الله أن يشفيها من آلام هذا الحب، الذي لا يفارقها في منامها وأحلامها، وتدعو الله أن يذهب عنها هذا الأرق المضني والمستمر، الذي تشعر وكأنه حرارة شمس يوم القيامة، فتتمنى أن تقوم القيامة حتى تستريح مما هي فيه، فتقول:

إلهي! انقذني من الرغبة في التمسك بهذه الأحلام

لا بد لي من البقاء مستيقظة أثناء النوم

ما هذا سوى شمس يوم القيامة

إلهي! انقذني من قرب هذه القيامة

أرني وجهه، لا صورته ([30])

وتنتقل بنا الشاعرة إلى عالم الأحلام والرؤى، حيث يداهمها طيف الحبيب في مناماتها، وتدير معه حوارًا يكشف عن عمق الجُرح الذي خلفه الفراق، كما تقدم لنا وصفًا لعش الحب (المنزل) الذي جمعهما في الماضي، والآن أصبح رمزًا للذكريات المؤلمة والأكف الدامية، فتقول في قصيدة "**خواب ميں خواب كا ڈر**: قلق الرؤيا":

من الذي قال (نصحك) بلقائه

فالطوب أحمر اللون

والجدار صلد

والزجاج الملصق على الجدار

يدمي الأكف الناعمة

تحول دون رؤية صحن منزله ليلًا

فلن تجدِ سوى الهواء تخاطبينه

فانشغال طيلة النهار بالعمل

وليلًا، خاطف القلب لا ينام، ويحرمك النوم ([31])

ثم تنتقل بنا الشاعرة إلى رصد تداعيات الفراق وآثاره على حالتها النفسية والبدنية في قصيدة " **بيش بندى**: قلق البعد"، حيث القلب يتسول الحب، والذهن مشتت، وافتقاد القدرة على مجابهة أحزان الفراق والهموم، ولكن الشاعرة تكشف عن أنها كلما ازدادت في البعد، ازدادت اقترابًا، حيث تشعر بدفء الوصال رغم البعد، وهذا البعد ليس اختيارًا لها، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، ثم تكشف عن الآثار السلبية للفراق وانعكاسها على جسدها الذي أصابه النحول والذبول، كالبئر التي جفت مياهها، ورغم التصحر الذي أصاب جسدها، لكن الذكريات لازالت يانعة لأنها تتغذى على تربة خصبة من المشاعر الدفينة، فتقول :

تبدو
تلك الصورة للحياة
القلب فيها يستجدي الحب
والذهن شارد
يعاني قلة الحيلة في دفع الأحزان
في البعد عنه، دفء الوصال
يحول البعد في قربه
الذي لا مفر منه
الجسم بئر معطلة
والذكريات تربة خصبة ([32])

واختتمت الشاعرة ديوانها بقصيدة رثاء لزوجها الراحل وجعلت عنوانها مشتقاً من اسمه " **يوسف كامران**"، وجدير بالذكر أن الشاعرة قد كتبتها بعد وفاة حبيبها وزوجها بسنوات قليلة، وهي تستحضر الشمائل والسجايا المحفورة في وجدانها تجاه زوجها وحبيبها الراحل، فتقول في رثاءه:

كان متيمًا في الحب
كنت أعرفه
كنت أعرف كل عيوبه
كنت أعشقه
يُقال عن لون الشفق الأحمر، إنه حياء

لكنه كان تعبيرًا عن وفائي
تلك الحلية، التي نعتبرها التباعد
كانت مثالًا لحبنا
كنت حبيبي، أعرف
أنك كنت مغرمًا بحبي
كنت أسيرًا لغرامي تخفي حبك للأبد
ألم يخطر ببالك
أن نعقد آثار الأقدام
لقد أصفر/ شحب الوجه
وخضبت الحناء في كفي
كنت متيمًا في الحب
ولكن كيف أُخبر الدهر بهذا !!([33])

- **الحنين إلى الذكريات**

تهدف النوستالجيا الذاتية عند كشور ناهيد إلى استدعاء الذكريات الماضية، وتسليط الضوء عليها في الزمن الحاضر، حيث تستحضر الأحداث الماضية بمشاعر مفعمة بالحنين والاشتياق، وتشكل هذه الذكريات حقبة مهمة من سنوات عمرها الماضية وجزءًا لا يتجزأ من حياتها، حيث تعود بنا إلى أيام الصبا وعهد الشباب الذي ولى، وتتحسر على ما مضى من الشباب والحيوية وتسرب سنوات العمر الذي تحول ما بين عشية وضحاها إلى بقايا إنسان محطم، فتقول في قصيدة " **خزان كا گيت**: أنشودة الخريف"

انظر إلى خدي الذي صار أصفر اللون
أكثر من اصفرار الزهور الصفراء
انظر إلى تلك العيون
التي كان يظن الحالمون أنها بحيرة
الآن قد أصبحت قفرا، مثل كهف مقفر
وتلك الأيدي، التي كانت مثل الأزهار النضرة

كانت رقيقة ناعمة

اليوم أصبحت كالخبز الجاف المحروق ([34])

فالشاعرة تبكي وتتحسر، فتتذكر كيف كان خدها الأحمر أيام الشباب، والآن أصبح أصفر اللون شاحباً، وكيف تحولت عيونها الحالمة المتلألئة، إلى عيون مقفرة مثل الكهف الخرب، وكيف تحولت يداها الناعمتان النضرتان مثل نضارة الأزهار، إلى أياد جافة لا حيوية فيها مثل الخبز المحروق.

وبعد أن وخط الشيب شعرها، شعرت بالحزن والألم لتسرب سنوات الشباب والحيوية، فكتبت قصيدة "**پهلا سفيد بال**: الشعرة البيضاء الأولى"، حيث سيطرت عليها الأفكار المفزعة جراء التقدم في العمر، والوقوف على أعتاب الشيخوخة، وتفتح زهور الأمل، ولكن بعد فوات الآوان، وأصبح ذهنها مشتتًا بين ما مضى وما هو آت، ورسخت المرآة الإحساس بالكبر والتقدم في العمر كلما نظرت في المرآة، وأصبح صدرها يمور بمشاعر الأسى واليأس، وانطفأت الأحلام بعد توهجها، وتنامى إليها الشعور بالوحدة والعزلة، كالشعرة البيضاء وسط الشعر الأسود، وقد ألقت بي في دوامات الخوف والقلق بعد أن أصبحت قاب قوسين أو أدنى من مرحلة الشيخوخة. فتقول:

ظهرت خطوط الأفكار المرعبة

وتوهجت جذوة الآمال بلا جدوى

وتراءت أشباح الأيام الخوالي

ولا يزال الذهن مشغولًا بالعمر المنقضي

والتهمت المرآة بقايا الوعي

واستسلمت للنبوءة القديمة

والصدر مفعم بالنيران

ونفثت سمها الزعاف في العروق

وانطفأت الأحلام بعد توهجها

وتألقت (الشعرة البيضاء) وسط الشعر الأسود كحجر مرمر

مستخفيًا في تلافيفها

في أسر الأيام الصارمة

وقد رمت بي في دهاليز الخوف

تلك المرآة، تخفف من شدة الاشتياق !([35])

كما تستكمل الشاعرة حديثها عن جمالها الذابل في قصيدة " **دشت صبا كا سپنا**: أحلام صحراء الصبا"، فتتحسر على زمن الأنوثة الذي ولى، والنضارة التي اختفت، والجاذبية التي تشد الأنظار، فتقول في مستهل القصيدة:

لماذا أصبحنا نفتقد الجاذبية

هل كنا نحب أن نعذب أنفسنا

أم كنا نحتاج إلى من يعطف علينا

أم كانت المسافة بيننا، تمنعنا أن نخطو الخطوات معا

أم أن حالنا كان خافيا عن عينيك

أم أن رؤيتي لحالي، أصبحت طوقًا لي ([36])

وتمتلك الشاعرة الشجاعة الأدبية بالاعتراف بسطوة الزمن، وتأثيره على جمالها وجاذبيتها، هذا الجمال الذي يُعد أغلى ما تمتلكه المرأة وتتباهى به أمام الآخرين، فالشاعرة لم تكن تحسب حساب الزمن وتأثيره على نفسية وشكل الإنسان، فيبدو أنها كانت سكرى ومفتونة بهذا الجمال في مرحلة الشباب، وفجأة استيقظت على هذه الحقيقة المرة، حيث ذهب الجمال والرونق والجاذبية، وكأن السن كان جرس الإنذار الذي كشف لها الحقيقة، وأن كل شئ له عمر افتراضي وفترة صلاحية، فالجمال لا يدوم، كما لا يدوم الحب أيضًا.

وفي قصيدة " **آگہی**: انتباه" تندب الشاعرة حياتها الماضية، التي قضتها في كوخ بسيط، كانت جدرانه متصدعة، وسقفة منخفض، وبمنأى عن تغلغل الهواء به، وانحنت قوائمه كانحناء ظهر الأم، التي عانت في حياتها شظف العيش، ولا تزال صورة المفتاح الصديء الذي كان يغمس في الزيت، لكي يفتح باب الكوخ راسخة في ذاكرتها، وبالرغم من ذلك فقد كانت جدران هذا الكوخ البسيط، شاهدًا على رحلة كفاح الأم، حيث كانت تقوم بواجباتها على أكمل وجه، رغم أنها كانت تحمل جنينا في أحشائها، وتربي طفلًا آخر في حجرها، دون أن تظهر السخط أو الاعتراض على وضعها ومعاناتها يومًا ما، فالشاعرة تحمل لهذه الأم أسمى معاني الحب والوفاء، حيث تقول عنها:

لقد ترعرعنا داخل كوخ

مالت جدرانه
وتصدعت أركانه
وانحنت قضبانه، كظهر أمي
وكان بابه يفتح ويغلق بعد غمس المفتاح في الزيت
ومصراعه، يعكس آلاف الثقوب
ولكن ذلك الكوخ
كان لا يسمح بعبور الهواء
لكنه كان منبع حيويتنا
فكانت أمي دائما تعد الخبز
وهي تحمل جنينا في أحشائها
وآخر في حجرها
ولم تضجر يوما ([37])

أحيانا تأتي النوستالجيا تعبيراً عن العجز في مواجهة الظروف والتحديات والبؤس والشقاء، فيلجأ الشاعر إلى الهروب نحو ذكريات ولحظات الأمل والتفاؤل، وكأنها محاولة هروب من الحاضر والعودة إلى الماضي، كما هو الحال مع الشاعرة كشور ناهيد، التي تعود إلى الطفولة واستحضار صورها، بعيداً عن هواجس الاغتراب والحرمان والشوق إلى أيام السعادة الممزوجة بحنان الأم.

ثم تقارن الشاعرة بين حالها اليوم، وحال تلك الأم في الماضي، فنجد أن الابنة (الشاعرة) تعيش في رغد من العيش، لا ينقصها شئ، فلديها خادمة ومرضعة لابنها، ولا ينقصها شئ من متطلبات الحياة، ورغم ذلك فهي تفتقد الشعور بالأمان، لانها في حال إذا ما وقع لها مكروه أو غدرت بها الدنيا؛ فلن تجد لها سندًا أو معينًا مثلما كانت ترعى أمها، التي كانت تعاني شظف العيش وضغوط الحياة في الماضي، ومع ذلك كانت راضية عن هذه العيشة لشعورها بالدفء والأمان في أحضان أبنائها، فتقول الشاعرة:

واليوم أصبحت أمًا
ولكن فلذة كبدي
نشأ في حجر المرضعة

وأنا في رغد من العيش، أتناول فطوري

، من المخبز المقابل

وبطرفة عين، أشترى ما أريد من السوق

أعلم،

أنه إذا انحنى ظهري مثل أمي

فلن يرافقني أحد

ولن تقرأ الفاتحة على قبر الأمومة ([38])

وعندما نتأمل هذه القصيدة نكتشف أننا نعايش شخصية الشاعرة كشور ناهيد، في حِلها وترحالها وصعودها وانحدارها، فالقصيدة تتمحور حول الذات الشاعرة، حيث تتبنى تيمة استرجاع الماضي، حيث تعرضت إلى ظروف نشأتها المتواضعة ، وفي هذه القصيدة تشكو تهميشها وغربتها الإنسانية، وهي تحتج على النمط الاجتماعي اليوم وتكوينه وأبعاده الثقافية.

الحنين إلى القيم المفتقدة

وفي قصيدة " **عكس نما**: الصورة المقلوبة" تأسف الشاعرة على ضياع القيم النبيلة والمثل العظيمة التي ميزت أفراد المجتمع في الماضي حيث كانت هذه الصفات ذات صبغة ربانية انعكست على سلوكيات ومعاملات الأشخاص، فكانت أحاديثهم صادقة، وخالية من الرياء، ووجوههم مشرقة بنور الإيمان، وتفوح من أجسادهم روائح الجنان، وعيونهم مفعمة بالأمل والتفاؤل، وكل خطوة قطعوها كانت في سبيل الخير والنفع العميم يبغون بها الثواب والجزاء من الله. فتقول:

كنا من هؤلاء الأبرياء

الذين كانت كلماتهم إلهامًا

وكل وجه مشرق بنور الإله

وعطورهم من الجنان

ونظراتهم ملأى بالتفاءل

أثيبوا بكل خطوة قطعوها ([39])

ثم تتحسر الشاعرة على تبدل تلك القيم وتراجعها، إن لم تكن اختفت تمامًا، فالعدل تحول إلى ظلم واستبداد، وأفرغت الثقافة من مضامينها، وسادت السطحية والجهل، فأصبحت الكتابة كغثاء السيل، لكنها تخلو من الفائدة، ولا تكرس للتنوير والتقدم، واختفى الوفاء، وساد الغدر والخيانة، وأصبح لكل شخص أقنعة متعددة تغيب الحقيقة بينها طبقًا للغة المصالح، وانتزعت رهبة الموت من القلوب، وأصبح الناس لا يبالون بالموت والرحيل، فاتجهوا لعمارة الدنيا، وخربوا آخرتهم بفساد أعمالهم، وقد فقدنا الثقة في كل شئ، حتى المرآة لم تعد تعكس لنا حقيقة وجوهنا الحقيقية، وكأنها تخدعنا هي الآخرى، فتقول: والآن، صرنا طغاة

الآن، أصبحنا نقرأ كل كلمة تافهة

الآن، لم نعد نبالي بالوفاء

الآن، أصبح لكل شخص وجوه عديدة

الآن، لم نعد نخشى الموت والهلاك

الآن، لم تعد المرآة انعكاسًا للحقيقة ([40])

وتواصل الشاعرة حديثها عن القيم الغائبة في المجتمع من خلال قصيدة " **روايت نه ثوٹے:** لا تحطم التقاليد"، حيث تصدع هرم القيم الذي تمثله الغابات الخضراء المحمية في حضن جبال التقاليد العريقة منذ الأزل، لكن هذه الغابات أصابها الجدب والقحط فاصفرت أوراقها وذبلت أشجارها، حتى حطام هذه الغابات لم يبق على حاله، فاحترق وتحول إلى فحم، وتخلت الأرض عن دعم هذه الغابات، فحرمتها النضارة والنماء، وكلما مر الزمن على هذه التقاليد العريقة، ازدادت قيمتها وأهميتها ومكانتها بالتقادم، وتحولت إلى جواهر نفيسة. فتقول:

كنا تلك الغابات الخضراء

تحت سفح جبال قرون التقاليد الماضية

والتي أصاب أغصانها الذبول والاصفرار

وجنت على نفسها فاحترقت

فلا يُرى منها سوى الفحم من بعيد

وكتمت الأرض شهادتها بنضارتها ونمائها

كانوا أصحاب سيرة عطرة

فإذا مضى زمن على احتراقهم
خلّفوا ورائهم درراً ولؤلؤاً مكان الفحم
كانوا أصحاب سيرة عطرة
دفنت مآثرهم في التراب
فتحول التراب إلى ذهب وفضة
كانوا أصحاب سيرة عطرة
يتلألأ بهم الفولاذ (الحديد) ([41])

يغلب العنصر التصويري على هذه القصيدة، وكذلك على معظم قصائد الديوان، فالصورة عند كشور ناهيد، هي جوهر الشعر وقوامه، بل إن الشعر في نهاية المطاف هو صورة، فكأن الشاعرة تمسك بكاميرا لتصور لنا تفاصيل البيئة المحيطة بها من جبال وأنهار وغابات، ومعادن، فقد شكلت الصورة الشعرية على مر العصور مقياسًا للشاعرية، " فارتباط الصورة بالشعر، ارتباط وجودي، فعندما توجد الصورة، يوجد الشعر بالضرورة، وعندما يوجد الشعر تظهر تلقائيًا الصورة" ([42])

الحنين إلى يفاعة الشباب

تمثل مرحلة الشباب المخزون الأكثر غنى بالذكريات، والزمن الأكثر اتصالًا بأسباب السعادة، حيث يبدو كل شئ مشرقًا ومثيرًا ومفعمًا بدهشة المغامرة والاكتشاف، فالشاعرة في قصيدة " **نفي**: انكار" تعبر عن همومها وإحباطاتها التي هي أقرب إلى الشقاء منها إلى السعادة، ورغم ذلك فهي تمتلك قدراً من النرجسية والاعتزاز بالأنا، منكفئة على ذاتها هروبًا من قسوة الواقع، وتعاني الشعور بالوحدة، وتجمع شخصية الشاعرة بين المتناقضات، فنجدها رغم قسوة الحياة لم تخضع ولم تستسلم لقسوة الواقع، فكان لديها نوع من الإباء والاعتزاز بالنفس، فتقول:

كنت بائعة المرايا
في أحضان آمال الجبال
وحيدة، وقد مسني الضر
أمتطي الثريا
كنت مفتونة بآناي في كل وقت وحين
غارقة في ذاتي

كنت تلك الوحيدة

التي لا تتقن تعاقب القدمين في السير

كنت تلك الفخورة

التي تعشق ذاتها

كنت تلك العنيدة

التي لا تعترف بكلمة " نعم" ([43])

وتعد التجربة الشعرية لهذا الديوان، متمردة على زمانها، حيث كتبت الشاعرة قصائد هذا الديوان بجرأة ملحوظة في مجتمع محافظ، وكأنها تسبح ضد التيار، فليس من السهل أن تعبر المرأة الشرقية عن عواطفها وأحاسيسها في مجتمع يغلب عليه التدين وسطوة التقاليد، فالشاعرة لا تتورع عن ذكر تجاربها العاطفية المبكرة، والتطرق إلى بعض التفاصيل الشخصية في مجتمع محافظ، فقد عبرت عن ندمها على انسياقها وراء عاطفتها، وعدم الانصات لصوت العقل في تلك الفترة.

وفي نهاية القصيدة تعترف الشاعرة بأنها قد دفعت ثمن طيشها وتهورها في مرحلة الشباب، حيث ألحقت بنفسها أضراراً بالغة، وجنت على نفسها بهذه التصرفات الطائشة، وتبدو نبرة الندم من الشاعرة في هذه الأبيات التي اختتمت بها القصيدة، وهي بهذا تمتلك شجاعة الاعتراف بأخطائها في فترة الشباب، وتحذر من النهاية المأساوية وعواقب طيش الشباب وتهوره في اتخاذ القرارات، حيث يدفع الشباب وحدهم ثمن هذا، فتقول:

ثم قتلت نفسي

ولعقت دمائي، ضاحكة

وقد ذهلت ضحكتي الناس مرددين: ما سمعنا بمثل هذه الضحكة من قبل ([44])

وفي قصيدة "عروسي: عرس" تعبر الشاعرة عن أحلامها بليلة زفاف أسطوري، تكون محاطة فيه بالمحبين والأصدقاء وتشع البهجة في جنبات العرس، فتحلم أن تكون في كامل زينتها من عطور وحُلي، وحناء، وتألق الوجه باللون الأحمر، فتقول:

عشقتُ منذ نعومة أظفاري

صورة العرس ولونه

لون الخد الأحمر

شذاه، وخضاب الأبتن ([45])

لمعان الوجه، وحرارة الأنفاس

جلوس العروس كالخيمة

كنت أحلم منذ الطفولة

أن أصبح عروسًا !

وأن تكسو الحمرة وجهي في الثوب الأحمر

ترنو أترابي إلى وجهي

حتى غلبهم الكلال، يضحكن فرحين

فما أن رأوني

حتى دقت الطبول ([46])

وتحتفي كشور ناهيد في هذه الأبيات بالواقعية، حيث لا تنقل الواقع كما هو، لكنها تحوله إلى صيغة جمالية، حيث حولت مشهد الزفاف إلى لوحة تشكلية متناغة ومتناسقة، فتجذب الأنظار وتخلب العقول، ولكن هذه اللوحة لم تصمد طويلًا، فتحول الحلم إلى كابوس، فلم تكتمل الفرحة وخيم الحزن على تفاصيل اللوحة في مشهد النهاية المأساوي، وتحول هذا الحلم إلى سراب، فقد صارت عروسًا ولكن بدون عطر، أو حناء، وحلي، وكحل للعين، ثم تدخل الشاعرة في دوامة جلد الذات ومحاسبة النفس، والندم على أخطأئها في حق نفسها، حيث تسرعت في شبابها باختيار شريك الحياة ورفيق الدرب، وتعود الشاعرة إلى رشدها بعد فوات الأوان، حيث لم يتبق من هذه الأحلام سوى بقايا عطر هذا الزفاف، الذي ضحت من أجله بأواصر الدم والقرابة، وتعترف بسذاجتها وقلة خبرتها في الحياة في تلك المرحلة من عمرها، بقولها، "كنت لا أفهم الحياة"، وتتساءل إلى متى ستعيش في أوهام لن تتحق، والاحتفاظ بشذى العرس المفقود، فتقول:

لقد صرتُ عروسًا، ولكن

ليس بيدها حناء ولا عطر

لا أثر للأبتن

ولا العين مكتحلة

لقد محتني أحزان الفراق

ولم يبق سوى شذى القرب، الذي ضحيت من أجله بأواصر الدم
كنت لا أفهم الحياة ([47])

الخاتمة

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

1- يتوفر عنصر القصدية لدى الشاعرة في هذا الديوان، الذي يعد تجربة متفردة، في الشعر الأردي الرومانسي، حيث نجحت الشاعرة في التعبير عن تجربة خصبة مكنتها من التعبير عن مشاعر المرأة وأحاسيسها مما لفت إليها الأنظار، ونالت شهرة مبكرة في عالم الشعر الأردي.
2- تحضر الواقعية في معظم قصائد الديوان بوصفها سمة جمالية، مشتبكة في سياق النص الشعري، وقد نجحت الشاعرة في توظيف هذه الواقعية في التقاط التفاصيل العادية من أجل استغلالها في تشييد الحدث وتتبع ملامحه.
3- تعد تجربة ديوان" بے نام مسافت: مسافة مجهولة" للشاعرة كشور ناهيد، تجربة متمردة على زمانها، حيث تمتلك شجاعة البوح، ووضوح الرؤية، وواقعية التجربة في مجتمع محافظ، متمسك بالعادات والتقاليد، وكأنها تسبح ضد التيار المحافظ، وكان لهذه التجربة أكبر الأثر في تحققها الشعري.
4- إن ديوان " بے نام مسافت: مسافة مجهولة" مفعم بالصور واللوحات والتشكيلات الفنية التي تتداخل فيها الألوان والأضواء والظلال، وهذا يدل على وعي الشاعرة بأهمية الصورة الشعرية في التشكيل الجمالي، فقد احتفت بها احتفاء بالغًا، حيث تحولت القصائد بما توافر لها من إمكانات تصويرية زاخرة، إلى لوحات شعرية.
5- يحضر البعد الإنساني في قصائد الديوان، حيث تسعى إلى الارتقاء بالمشاعر الإنسانية والتواصل الوجداني بين البشر، والدفاع عن حرية الإنسان وآدميته، واحترام الآخر. ونجحت الشاعرة في البوح بقصيدة تتغنى بإنسانية الإنسان، فهي شاعرة ذات رسالة تسعى إلى أن يكون صوتها مسموعًا في عالم يمور بضجيج المادة، وتشيء الإنسان.

6- تعرض الشاعرة في هذه الديوان محطات من تجاربها الذاتية، ودور المجتمع في تشكل هذه الذات المتمردة على واقعها، الذي شكلته شعريًا لتخاطب به القارئ، لكي تعرف مدى تقبل شخصية المرأة كذات ثقافية تعبر عن معاناتها في مجتمع شرقي.

7- إن النوستالجيا، هي آلية للتصالح مع الواقع في خريف العمر، فالشاعرة تجتر ذكرياتها الماضية لكي تستدفئ بها في صقيع الوحدة في هذه المرحلة المتأخرة من العمر، التي هي أحوج ما تكون إلى بث الثقة بالنفس من خلال استعادة زمن الشباب والحيوية واليفاعة.

الهوامش والمراجع

[1] - هي المدينة الفاضلة التي أسسها أفلاطون، لتكون تجسيدًا لحلم الإنسان بحياة أفضل. ويقصد باليوتوبيا " الطوباوية" utopie
وهي " لفظ معرب أصله " أوطوبيا" أو " يوطوبيا"، وهو مؤلف من لفظين يونانيين: طوبوس Topos، ومعناه المكان، وأو
Ou ومعناه ليس، فمعنى " اليوطوبيا" إذن ما ليس في المكان، وهو الخيالي أو المثالي.المعجم الفلسفي- جميل صليبا- ج2- دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982- ص 24

[2] - عالم الفكر، العدد (181) يناير مارس 2020- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- ص 147، مقالة بعنوان
"الخطاطة العمودية الناظمة لأبنية الخيال الشعري.. مقاربة رمزية انثروبولوجية في شعر إيليا أبي ماضي"- محرز بن محسن راشدي.

[3] - الرومانتيكي، نسبة إلى الرومانتيكية أو الرومانسية، وهي في الأدب ضد المدرسة الكلاسيكية، أما في الفلسفة فهي ضد النزعة العقلانية.
لمزيد من المعلومات، انظر المعجم الفلسفي- جميل صليبا- ج1، ص 628، 629

[4] - أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب- مير أحمدي وسيد رضا وآخرون- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها-
العدد الحادي عشر- 2012م- ص 152

[5] - قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي- عربي)- دار أطلس للنشر- الطبعة الأولى، 2002م- ص 853

[6] - http://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/nostalgia. بتاريخ 28/ 1/ 2020م

[7] - https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 25/ 1/ 2020م.

[8] - مقالة بجريدة الوطن، بقلم الدكتور/ إبراهيم عرفات- العدد 2655، بتاريخ 11/ سبتمبر 2017م، نقلًا عن الموقع التالي:
www.al-watan.com/writer/id/7469 تاريخ الدخول: 5 فبراير 2020م

- مقالة بعنوان: النوستالجيا.. المصطلح الطبي الذي انتهى إلى حالة شاعرية، إسلام سعدي سالم، نقلًا عن الموقع التالي:
https://manshoor.com/life/nostalgia-illness-and-meaning
تاريخ الدخول 26/2/ 2020م

[10]- المرجع السابق.

[11] -Justina Gineikiene, Consumer Nostalgia Literature Review and Alternative Measurement Perspective, Organizations and Markets in Emerging Economies, 2013, ISSN 2029-4581, VOL 4, P 116

[12]- Nikita Telford, Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, National College of Ireland, 2013, P7

[13] - creatively Designing With/ For Cultural Nostalgia, Haian Xue,Martin Woolley, Aalto University School Of Arts Design and Architecture.
Design-cu.jp/iasdr2013/papers/1290-1b.pdf

[14] - مقالة بعنوان (النوستالجيا: المصطلح الطبي الذي انتهى إلى حالة شاعرية)- إسلام سعدي سالم- نقلًا عن:https://manshoor.com/life/nostalgia-illness-and-meaning
تاريخ الدخول 2020/2/26م.

[15] - https://www.urdupoint.com/adab/writer/kishwar_naheed
تاريخ الدخول 7/ 1/ 2020م

[16] - المرجع السابق.

[17] - ur.m.wikipedia.org تاريخ الدخول 7/ 1/ 2020م

[18] - تانیثی شاعری میں جدید عورت کا تصور (مقالہ برائے ایم فل اردو)- ثروت فاطمہ- علامہ اقبال اوپن یونی
ورسٹی، اسلام آباد، 2015، ص 113

[19] - پاکستانی شاعرات، ڈاکٹر سلیم اختر، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، 2008ء، ص 179

[20] - اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے 200ء تک- ڈاکٹر سلیم اختر، کتاب دنیا، کاک آفسٹ پرنٹرس، دهلی، 2005ء، ص 605

- المرأة الباكستانية .. التاريخ والمجتمع والأدب- إشراف ومراجعة أ.د/ إبراهيم محمد إبراهيم- مايو 2016م- ص 236

- کشور ناہید.. شخصیت اور فن، محمد افضل شیخ (نگران ڈاکٹر انوار احمد)، مقالہ برائے ایم اے، بہاء الدین زکریا
یونی ورسٹی، ملتان، 1988ء، صفحات متفرقة.

[23] - تانیثی شاعري میں جدید عورت کا تصور- ثروت فاطمہ- ص 113، 114

[24] - بے نام مسافت، کلیات دشت میں قیس لیلی (غلاف)- کشور ناہید، پبلی کیشنز، لاهور،1991، 2001ء.

[25]- تانیثی شاعري میں جدید عورت کا تصور- ثروت فاطمہ- ص 113، 114

[26] - پاکستانی شاعرات، ڈاکٹر سلیم اختر، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، 2008ء، ص 182

[27] - بے نام مسافت- کشور ناہید- المقدمة، ص 3، 4

[28] - علم لغة النص النظرية والتطبيق- عزة محمد الشبل، تقديم سليمان العطار، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 2007م- ص 28

[29] - جانتے پہلے بھی تھے
رمز ملاقات کی یہ کوہ کنی
اب تسکین کی فسوں سازی تو کیا کر پائے
کرمکِ حرص کا لمحاتی تعلق نہ بنے
یہ جنوں سازی احساس
حبابوں پہ کرے عرصہء ہستی کو رقم
تیرے جانے کو بھی آنے کا بہانہ سمجھے
باقی ہر شے کو ترے عکس کا جویا سمجھے
بے نام مسافت- کشور ناہید- سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، 1991ء، ص 5

[30] - میرے مولا! مجھے ان خوابوں کو یوں جوڑتے رہنے کی تمازت سے بچا
نیند میں جاگتے رہنا بھی ہے
خورشید قیامت سے سوا
میرے مولا! مجھے اس قربِ قیامت سے بچا
اس کی تصویر نہیں، شکل دِکھا !!
بے نام مسافت- کشور ناہید- ص6

[31] - کس نے کہا تھا ان سے ملو
بات بھی کرو
اینٹوں کا رنگ سرخ ہے،
دیوار بھی ہے سخت
دیوار پر جڑی ہوئی شیشے کی ٹکڑیاں
نازک ہتھیلیوں کو کریں گی لہو لہان
آنگن میں اس کے جھانکنے دیں گی نہ رات کو،
اب تو ہوا کے ساتھ بھی باتیں کرو گی تم
دن میں تو دفتروں کے مشاغل بہت سے ہیں
راتوں کو دل کا چور نہ سوئے نہ سونے دے
بے نام مسافت- ص 85

[32] - پھر نظر آئی ہے
جینے کی وہ صورت، کہ ہے جس میں شامل
دل کی دریوزہ گری
ذہن کی آشفتہ سری
غم کو بہلانے کی سعئ ناکام
اس سے دوری میں بھی قربت کی تپش
اور پھر قرب میں حائل وہی دوری
کہ نہیں جس سے مفر
جسم کا اندھا کنواں
یاد کی گیلی مٹی
بے نام مسافت- ص 83

[33] - وہ تو مجرم تھا محبت کا
میں اُسے جانتی تھی
میں تو اُس شخص کے ہر نقص کو پہچانتی تھی
میں اُسے چاہتی تھی
وہ شفق رنگ، حیا جس کو کہیں
تھی یہی میری وفا کی تعبیر
وہ بہانہ جسے چشمک سمجھیں
تھی مرے تیرے تعلق کی نظیر
تو کہ محبوب مجھے تھا، مجھے معلوم ہے یہ
تو کہ مجرم تھا، مرے پیار

مری چاہت کا
تو کہ دیوانہ مخفی محبت تھا سدا
تجھ کو کیا سوجھی
کہ قدموں کے نشان الجھا کر
چہرہ زرد لیے
میری ہتھیلی پہ لگی مہندی کو دھند لانے لگا
تو کہ مجرم تھا محبت کا
زمانے کو خبر کیسے ہوئی !!
بے نام مسافت- ص 107، 108

[34] - دیکھو تو پیلے گلابوں سے بھی بڑھ کے
مرے رخسار کی پیلی رنگت
دیکھو وہ آنکھیں جنھیں خواب پرست
جھیل کہا کرتے تھے
اب وہی آنکھیں ہیں، غاروں کی طرح سے ویراں
اور وہي ہاتھ کہ جو تازہ شگوفوں سے بھی،
نازک تھے کبھی
آج سوکھی ہوئی روٹی کی طرح خاکستر
بے نام مسافت- کشور ناہید- ص 19

[35] - وحشت آمیز خیالوں کی لکیریں جاگیں
شعلہء خواہشِ نایافت بھڑک کر چمکا
سائے لمبے ہوئے سب بیتے ہوئے برسوں کے
ذہن نے عمر گریزاں سے تعلق باندھا
آئینہ، ہوش کی مقراض بنا
پیش گوئی کے ہیولوں کے حوالے کر کے
کر گیا سینہء سوزاں کی تپش کو ارژنگ
آتشیں زہر سا رگ رگ میں مری چھوڑ گیا
بے کراں شوق کی موجوں کا فسوں توڑ گیا
کالے بالوں میں وہ مرمر کی چمک
یخ سفیدی کے تناؤ میں نہاں
ڈھیلی پڑتی ہوئی گزرے ہوئے برسوں کی گرفت
مجھ کو اندیشوں کی دہلیز پہ لے آئی ہے
آئینہ، شوق کی تقصیر بنا !
بے نام مسافت- ص 91، 92

[36] - ہم بھلا کیوں کشش اصل سے محروم رہے
کیا ہمیں خود ہی اذیت سے محبت تھی بہت
یا ہمیں مرحمت غیر کی حاجت تھی بہت
یا کہ تھا فاصلہ ایسا کہ قدم ساتھ نہ اٹھ سکتے تھے
یا کہ مخفی تھا مرا حال تری آنکھوں سے

یا مری خود نـگری طوق بنی میرے لیے
بے نام مسافت- ص 37

[37] - پلے تھے ہم کوٹھـڑی کے اندر
کہ جس کی دیوار ٹیڑھی ہو کے
ہزار کونوں میں بٹ چکی تھی
کہ جس کی کڑیاں ہماری ماں کی کمر کی صورت جھکی ہوئی تھیں
کہ جس کا دروازہ، تیل سرسوں کاپی کے کھلتا تھا، بند ہوتا تھا
اور کواڑ جس کے، ہزار چھیدوں کا آئینہ تھے
مگر وہی کوٹھـڑی
جہاں پہ ہوا گزرنے کا راستہ بھی کوئی نہیں تھا
ہماری بالیدگی کا منبع بنی
ہماری ماں نے ہمیشہ روٹی پکائی ایسے
کہ ایک تھا پیٹ میں تو اک
گود میں ہمکتا
مگر نہ حرف گراں کبھی اس کے لب پہ آیا
المرجع السابق- ص 28، 29

[38] - میں اب ماں ہوں
مگر مرے لخت جاں کو،
آیا کی گود کی گرمیوں نے پالا
مجھے تو آرام ہے، کہ ہر روز منہ اندھیرے
وہ سامنے والی بیکری سے
منگالوں میں ناشتہ جو چاہوں
پلک جھپکنے میں، جا کے بازار سے خریدوں
جو چیز چا ہوں
مجھے خبر ہے
اگر یونہی، میری ماں کی صورت
مری کمر بھی جھکی تو کوئی نہ ساتھ دے گا
نہ مامتا کے مزار پر فاتحہ پڑھے گا
بے نام مسافت- ص 29

[39] - ہم وہ معصوم تھے
جن کے لیے الہام ہر اک فقرہ تھا
ہر چمکتا ہوا چہرہ تھا خدا
ہر مہکتا ہوا دامن، فردوس
ہر نظر گوشہء امید وخبر
ہر قدم مژدہء تمہید جزا
بے نام مسافت- کشور ناہید- ص 35

[40] - اب تو فرخندہ جفا کار ہیں ہم
اب تو پڑھ لیتے ہیں ہر سادہ ورق کی تحریر

اب نہیں کرتے وفا کی تقصیر
اب ہر اک شخص سے ملتے بدل کر شکلیں
اب ہمیں خوفِ ہلاکت بھی نہیں
اب کوئی آئینہ، معیار عدالت بھی نہیں
بے نام مسافت- ص 36

[41] - ہم روایات کی کہنہ صدیوں کے پربت تلے
وہ گھنے سبز جنگل ہیں جو
بے پنہ شاخ در شاخ تابندگی
تازگي کے تموج سے سنولا کے
خود ہی جھلس جائیں
فقط دور تک کوئلہ کوئلہ ہی دکھائی دے
اور تازگي کی نمو
خاک سے بھی گواہی نہ دے
وہ مقدر کے اچھے
کہ جن کو جلا پے کی مدت گزرنے پہ
ان کوئلوں کی جگہ، ہیرے موتی ملے
وہ مقدر کے اچھے
کہ جن کی دعائیں، زمین کی تہوں میں دبیں
تو کہیں سونا چاندی بنیں
وہ مقدر کے اچھے
جن سے فولاذ کا نام پائیدہ ہے
بے نام مسافت- ص 46، 47

[42] - ساسين عساف- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- ط1- 1982م- ص 55

[43] - میں تھی آئینہ فروش
کوہ امید کے دامن میں
اکیلی تھی زیاں کوش
ثریا کی تھی ہمدوش
مجھے ہر روز، ہمہ وقت تھی بس اپنی خبر
میں تھی خود اپنے میں مدہوش
میں وہ تنہائی تھی
جسے پیر ملانے کا سلیقہ بھی نہ تھا
میں وہ خود بین تھی
جسے اپنے ہر اک رخ سے محبت تھی بہت
میں وہ خود سر تھی
جسے " ہاں" کے اجالوں سے بہت نفرت تھی
میں نے پھر قتل کیا خود کو
پیا اپنا لہو، ہنستی رہی

لوگ کہتے ہیں ہنسی ایسی سنی تک بھی نہیں
بے نام مسافت- کشور ناہید- ص 44، 45

[44] - میں نے پھر قتل کیا خود کو
پیا اپنا لہو، ہنستی رہی
لوگ کہتے ہیں ہنسی ایسی سنی تک بھی نہیں
بے نام مسافت- کشور ناہید- ص 44، 45

مسحوق أصفر اللون، ذو عطر، تستخدمه العروس ليلة الزفاف في خضاب جسدها كي يمنحه نعومة وليونة.

[46] - میں نے بچپن ہی سے پوجا تھا
دلہن کا عکس ورنگ
جامنی رخسار کی رنگت
مہک ابٹن کا لمس
شعلہ رو، شعلہ نفس
گٹھڑی کی طرح بیٹھی ہوئی
میں نے پچپن ہی سے چاہا تھا
دلہن بن جاؤں میں !
چمپئی رنگت کو گہرے شعلہ رو کپڑوں میں ایسے ڈھانپ لوں
میرا چہرہ، میری سکھیاں ڈھونڈنے بیٹھیں
تو تھک کر ہنس پڑیں
مجھ کو گٹھڑی کی طرح دیکھیں
تو ڈھولک تھام لیں
بے نام مسافت- ص 95، 96

[47] - میں دلہن ایسی بنی لیکن
کہ مہندی تھی نہ افشاں
اور نہ ابٹن کا خمار
آنکھ میں کاجل کی تحریریں بھی
اپنوں سے جدائی کے غموں میں دُھل گئیں
رہ گئی اس قرب کی خوشبو کہ جس کے نام پر
خون کے رشتوں کو بھی
میں زندگی سمجھی نہیں تھی
المصدر السابق- ص 96، 97

المصادر

أولًا: العربية

1. أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب- مير أحمدي وسيد رضا وآخرون- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها- العدد الحادي عشر- 2012م.
2. المرأة الباكستانية .. التاريخ والمجتمع والأدب- إشراف ومراجعة أ.د/ إبراهيم محمد إبراهيم- مايو 2016م.
3. المعجم الفلسفي- جميل صليبا- ج1- دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.
4. المعجم الفلسفي- جميل صليبا- ج2- دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.
5. ساسين عساف- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- ط1- 1982م.
6. عالم الفكر- العدد 181 يناير/ مارس 2020- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
7. علم لغة النص النظرية والتطبيق- عزة محمد الشبل، تقديم سليمان العطار، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 2007م
8. قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي- عربي)- دار أطلس للنشر- الطبعة الأولى، 2002م.
9. مقاربات مفهومية في الأدب العربي الحديث (ثنائية التناقض والانسجام)- منصور قيسومة، تونس، دار سحر للنشر، 1994م.